مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

المرادي ومكانته بين النحاة

عبدالمعز عبدالفتاح الطيب الخراط. – محمد علي أحمد عمر.

مستخلص:

تناول هذا البحث العلامة الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علّي المعروف بالمراديّ، وقد اهتم البحث بإبراز أهم سمات العصر الذي عاش فيه المرادي، ليضح من خلال ذلك العوامل التي ساعدته على التحصيل والاجتهاد وطلب العلم، كما اهتم البحث ببيان إسهام المرادي في الحركة العلمية التي نشطة إبان حكم المماليك وأثرهم في تشجيع العلم والعلماء. اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي لتوضيح أثر المرادي في العلماء الذين نهلوا من معينه، وتوصل البحث لنتائج منها:

1- إنَّ العلماء الذين نقلوا عن المرادي قد كثُر نقلُهم عن كتابيه شرح التسهيل وشرح الألفية ، وقل نقلهم عن كتابه الجنى الداني.

2- أن الأشموني اتبع طريقة المرادي في الشرح وذكر التنبيهات .

3- وتعتبر شُهرة المرادي في علم النحو أكبر من شهرته في علم التفسير والعروض.

Abstract

The study has focused on Al Hassan Ibn Gassim Ibn Abdallah Ibn Ali, well-known as Al Muradi. The study has underpinned the main features of his age and factors behind acquisition, knowledge pursuit and, hard study.

The study has also highlighted Al Muradi's contributions to knowledge pursuit under during the Mamluk Era and their encouragement to knowledge and scholars.

The researcher has adopted descriptive inductive methods to explain Al Muradi's influence on the scholars who acquired knowledge from him. The study has concluded that:

1.Scholars who studied Al Muradi has focused on his books "Sharh Al Tasheal" and Sharh Al Alfiya" only. They have rarely referred to his book " Al Jana Al Dany"

2.Al Ashmoony has followed Al Murad's school on commentaries and notes.

3.Al Murdi is well known for grammar rather than interpretation or prosody.

مقدمة

اتصلت حلقات التأليف والتصنيف بين علماء المسلمين الذين شحذت أفهامهم واستنهضت هممهم بما جاء في القرآن والسنة من أقوالٍ تحث على تعلم العلم ونشره يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾(العلق:1) ويقول تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلۡ إِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾(العلق:3-4-5) وقد رافق هذا الأمر بيان سماوي آخر عن مكانة العلماء في مواضع عدة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 18) وقوله عز وجل: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (الزمر: 9) وقوله سبحانه: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ (المجادلة: 11). وجاء في السنة النبوية الغراء قوله صلى الله عليه وسلم: (معلم الخير يستغفر له كل شيءٍ حتى الحوتُ في البَحرِ) (العسْقلاني، 1994م، ج7، ص:93) ويقول: (مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ) (الدارمي، 2015م، ج1، ص127). ولهذا نشط المسلمون في الجمع و طلب

العلم والتأليف والتصنيف منذ بواكير التاريخ الاسلامي فكان أول كتاب في الحديث الشريف أخرج للناس؛ صَحيفة لهَمّام بنِ مُنَبِّه اليمانّي الصَّنعانّي(ت: 131هـ) التي جمع فيها 138حديثًا من أَحاديثِ أَبي هُريرةَ ، وفي التفسير تذكر المصادر أن أقدم تفسيرٍ للقرآنِ الكريمِ هو: تفسير مقاتل بن سليمان البلخي (ت:150هـ)، جمعه مقاتل عن ثلاثين رجلاً من التابعين وتابعيهم، كان الشافعيُّ يقول: (الناس في التفسير عيالٌ على مُقاتل) (الذهبي، 1963م، ج4، ص:173). وفي السير و المغازي فإنّ من أقدم الكتب؛ كتاب محمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت: 151هـ) المشهور بسيرة بن إسحاق(محمد عجاج الخطيب، 2001م، ص:228)، وفي الأدب يعتبر كتاب المفضل الضبي(ت: 168هـ) المعروف بالمفضليات هو أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيارات الشعرية،وكذلك كتاب الأمثال.أما في التأليف المعجمي فيبرز الخليل ب نأحمد(ت:170هـ) وله كتاب الجمل في النحو، يأتي مالك بن أنس (ت: 179هـ) في الفقه في مقدمة المؤلفين حيث صنف الموطأُ وتقول المصادر أن الإمام مالك بقي يؤلف الموطأ ويعتـ ـني به أربعين عاماً قال عنه الإمامُ الشافعيُّ:(ما في الأرض كتابٌ في العلم أَكْثُر صَوابًا من مُوطَّأ مالكٍ) (الذهبي، 2006م، ج7، ص:186) وهكذا ازدادت بعد ذلك جهود علماء المسلمين ونشطوا في التأليف يحدوهم حبهم لدينهم وتحقيقًا لقوله تعالى ﴿ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وذلك بالتدبر والتفقه والشرح والتأليف والنشر إلى يومنا هذا.

يعتبر المُرادي أحد أئمة المسلمين، وفحول أهل العلم الذين منّ الله عليهم بالفتح الرباني فألّفوا وصَنّفوا وحقّقوا وشَرحوا وومهّدوا وَهَّبوا وفَرَّعوا وصحَّحوا، وكلُ واحدٍ من هؤلاء العلماء يعتُو آيَةً من آيات الله سبحانه وتعالى، والمراديُّ كذلك لما أنجزه من تآليف وتصانيف في مختلف فروع العلم وفنونه وأَظهره خلال ذلك من نبوغ وعبقرية .

المُرادِيّ، نسبُهُ ومولده:

هو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علّي أبو محمد بدر الدين المعروف بابن أم قاسم المرادي المصري المولد المغربي المَحْتِد الفقيه المالكي النحوي اللغوي(السيوطي، د.ت، ص:226)

لم تذكر المصادر سنة ميلاده، ولكن يمكن أن نستشف من خلال مسيرته العلمية، تاريخ ميلاده، فإذا ما عرفنا أن شيخه السراج الدمنهوري (ابن الجزري، 1351هـ، 1ج، ص:597) قد ولد عام 680هـ بدمنهور، فيمكن القول أنه ولد بعد العام 690هـ بقليل أو في هذا العام.

وأما مكان نشأته فقد ذكرت المصادر أنه ولد بمصر وعرف في نسبه أنه المصري مولداً، وأما نسبه فهو من قبيلة مراد، وسمي المراكشي والمغربي لإقامته وشهرته بالمغرب.(ابن حجر العسقلاني، 1972م، 2ج، ص:117).

تسميته بابن أُمِّ قاسم:

سُمّي المُراديُّ بابْنِ أُمِّ قاسمٍ نسبةً إلى جدته من أبيه التي كانت تعرف بالزهراء، وكانت تعيش في بلاد المغرب في مدينة أسفى الساحلية الواقعة على المحيط الأطلنطي في المغرب، انتقلت مع ولدها إلى مصر، وكانت هذه المرأة على جانب كبير من الخلق والتدين والصلاح، أكسبها حُبَّ الناس فالتفوا حولها وأجلوها وأكرموها واحترموها، ووضعوها في مكان يليق بها، وأسموها الشيخة. وجاء في طبقات المـ فسرين قوله: (المصْرِيّ المولد الأسفي المحتد النَّحْوِيّ اللّغَوِيّ الفَقِيه البارع بدر الّدين المَعْرُوف بِابْن أم قاسم وهِي جدته أم أَبِيه واسْمها زهراء وكَانَت أول ما جاءَت من الغرب عـ رفت بالشيخة وكَانَت شهرته تابِعَة لشهرتها ذكر ذلك الغَيف المطري فِي ذيل طَبَقَات القُرّاء) (الداوودي، بدون تاريخ، ج1، ص: 138). ورواية أخري ذكرها العسقلاني هي: (إنما اشْتُهِر بابن أُمِّ قاسم لِأَمْرأَةٍ تبنَّتْهُ تُدعى أُمُّ قاسمٍ كانت من بيت السلطان) (العسقلاني، 1972، ج1، ص: 138)

واسمه الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي، وهناك من العلماء من أضاف "ال" في اسمه الأول ومنهم من حذفها، وليس هذا بكبير اختلاف.

الحياة العلمية في عصر المرادي:

نشأ عالمنا الجليل نشأة علمية مزدهرة علي الرغم من التنافرات في ذلك العهد المملوكي (648هـ-923هـ) وقد كان عصر المماليك عصرا حافلاً بالعلم والعلماء، وقد عُرف سلاطين المماليك بحبهم للعلم والعلماء، وفي عهدهم كانت مصر في أوج عزها وازدهارها في شتى الجوانب، إذْ إنّ الظروف التاريخية التي أحاطت بالعالم الإسلامي في منتصف القرن السابع الهجري أفرزت سلاطين المماليك لتقوم بدور القوة المدافعة عن العالم الإسلامي على مدى ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان. وفي ظل الحماية التي وفرتها دولة سلاطين المماليك كانت مصر مقصداً للعلماء والفقهاء وطلاب الرحلة من شتى أرجاء العالم الإسلامي، وخير دليلٍ على ذلك النشاط الزاهر هو ما خلفه لنا ذلك العصر من تراثٍ ضخم في شتى نواحي المعرفة الإنسانية.(قاسم عبده، 1985، ص: 115). وهكذا فقد انتقل النشاط العلمي من العراق وبغداد إلى مصر وقاهرتها، ونشرت القاهرة زعامتها العلمية وقيادتها الأدبية على البلاد الإسلامية تقريبا زهاء هذه القرون الثلاثة التي عاشت فيها دولة المماليك.

وقد اجتذبت البيئة المصرية وعاصمتها القاهرة بما لها من مكانة إسلامية وحضارة مزدهرة وما بها من تشجيع للعلم وأهله كثيرا من العلماء والطلاب الذين هوت أفئدتهم إليها من مختلف بلدان العالم الاسلامي، وقد ظل وفودُ هؤلاء العلماء إلى مصر مستمرا طيلة عصر المماليك، ومن هؤلاء ابن مالك الأندلسي وابن أبي حجلة المغربي، وابن خلدون وكثيرون غيرهم ممن وفدوا على البلاد وازدهرت بهم الحياة العلمية. (طاهر سليمان حمودة، 1989م، ص:71) وقد وصف ابن خلدون نشاط الحركة العلمية بالقاهرة وعلل هذه الظاهرة تعليلا دقيقا فقال: «ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعلم العلم، وأكد ذلك وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم بنظر عليها، أو نصيب منها، مع ما فيهم غالبا من الجنوح إلى الخير، والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف لذلك، وعظمت الغلات والفوائد وكثر طلب العلم ومعلمه، بكثرة جرايتهم، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب، ونفقت بها أسواق العلوم، وزخرت بحارها، والله يخلق ما يشاء» (ابن خلدون ص: 434،435)

ثالثاً: طلبه للعلم وشيوخه:

هذا الجو المفعم بالعلم والحافل بالعلماء وجد المرادي نفسه في غماره، فنشأ محبا للعلم، إلى جانب أنه وجد التشجيع العلمي لوفرة المصادر و المراجع، فتعلم ونبغ وتصدر للقراءة والتدريس بعد أن أجاز له شيوخه. كما قيض الله له عائلة عُرِفتْ بالعلم والعلماء؛ فترعرع في كنف جدته الشيخة أم قاسم، ومما زاده في طلبه للعلم رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الرُّؤيا إِحدى كراماته الصالحة قالَ مُحَمَّد بن أَحْمد ابْن حيدرة الأَنْصارِيّ مُعرفا للشَّيْخ المرادي: (وله كرامات كَثِيرَة مِنها أنه رأى النَّبِي- صلى الله عليه وسلم- فِي النّوم فَقَالَ لَهُ يا حسن اجْلِسْ انفع النَّاسَ بِمَكان المِحْراب بِجامِع مصر الْعَتِيق بجوار الْمُصحف) (العسقلاني، 1972، ج2، ص:139)، وهذا مما يزدادُ به المرؤ يقينًا أنَّ الله سبحانه وتعالى تخيّر هؤلاء العلماء وسخرهم لخدمة كتابه ودينه وأمّدهم بما يحتاجونه من ملكاتٍ ومواهبَ تعينهم لأداء هذه المهمة الربانية، فكان إنتاجُهم العلمي ونشاطُهم واجتهادُهم دليلُ صلاحِهم وتأييدِ الله لهم.

طلب الحسن المرادي العلم على أيدي كبار العلماء في عصره في اللغة والقراءات والأدب والتفسير، قال بن حجر: قال الغَيف المطري فِي ذيل طَبَقات القُرَّاء:(أخذ الْعَرَبِيَّة عَن أبي عبد الله الطنجي والسراج الدمنهوري وأبي زَكَرِيّا الغماري وأبي حَيّان والفقه عَن الشّرف المغيلي والأ صُول عَن الشَّيْخ شمس الدّين ابْن اللبان وأتقن الْعَرَبِيَّة والقراءات على المجد إِسْماعِيل الشستري وصنف

وتفنن وأجاد) (العسقلاني، 1972، ج2،ص:138)، والمطالع على حياة المرادي يجد أثر ذلك في مؤلفاته، و يذكر الباحث من المشائخ الذين تتلمذ عليهم عالمنا الجليل:

1- أبو حيان الأندلسي النحوي:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين، النحوي اللغوي، المقرئ الأديب والمؤرخ، ولد بالأندلس سنة 654هـ ورحل إلى المشرق وتوفي بمصر عام 745هـ وله تصانيف مشهورة نافعة مثل: ارتشاف الضرب والتذييل وشرح التسهيل، وغيرها. وكان المرادي يوافق أستاذه في كثير من المسائل ويقول برأيه مثال ذلك ما أورده الزبيدي في تاج العروس قال: (الأُبابُ (بالضَّمِّ: مُعْظَمُ السَّيْلِ، والمَوْجُ) كالعُبابِ قالَ: أُبابُ بَحْرٍ ضاحِكٍ هُزُوقِ قالَ شيخُنا: صَوَّحَ أبو حَيّانَ، وتلميذُه ابنُ أُمِّ قاسِمٍ أن همزتها بَدَلٌ من العَيْنِ، وأنها لَيست بلُغَةٍ مستقلّة انْتهى) (الزبيدي، مادة: أ ب ب). وبالبحث رأيت أنه لم ينقل في كتبه عن شيوخه إلا عن شيخه أبي حيان . وأعلل ذلك بأنه كان من أفاضل الشيوخ وكان آخرهم، وأكثر ملازمة له «عن جماعة آخرهم أبو حيان» (ابن الجزري، 1351هـ،ج1، ص:227).

2- أبو زكريا الغماري:

هو يحي بن أبي بكر بن عبدالله بن محمد الغماري التونسي النحوي، الصوفي ولد عام 636هـ، وتوفي عام 624هـ. (ابن الجزري، 1351هـ،ج2، ص:179).

3- ابن اللبان:

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالمؤمن الدمشقي المشهور بابن اللبان، ولد بدمشق عام 685هـ ثم انتقل إلى مصر أخذ عنه المرادي الأصول توفي بالطاعون في مصر عام 749هـ.

4-الطنجي أبو عبدالله:

سُمي بذلك نسبة لمدينة طنجة بالمغرب، وعلى الرغم من مكانته النحوية واللغوية فلم يكن مشهوراً. (السيوطي، ج1، ص: 208).

5- السراج الدمنهوري:

هو سراج الدين عمر بن محمد بن علي بن فتوح الدمنهوري المصري الشافعي، عالم جامع للأصول، بارع في النحو و القراءات، أخذ عنه المرادي النحو، واللغة، ولد عام 680هـ بدمنهور وتوفي عام 752هـ. (ابن عماد الحنبلي ، ج6، ص:163)

رابعاً: تلاميذه:

لا شك أن المرادي قد تصدر للتدريس، وأنه انتفع به طلاب كثيرون، كما أن بعض مؤلفاته سببها سؤال بعض طلابه أو أخوانه ففي مقدمة الجني الداني قال : وهذا كتاب جعلته لسؤال بعض الأخوان جواباً (المرادي، 1992م، ج1،ص: 59) في شرحة نونية السخاوي قال (تكرر علّي سؤال بعض المشتغلين أن يعين على فهمها وينوه بما اشتملت عليه من صغر حجمها، ومن بديع صنائعها، وغزير علمها، فأجبته إلى ذلك.(المرادي، 1992م، ج1، ص 59.)

و مَن كان هذا دأبه في كثير من مؤلفاته فلا بد أن يتخرج علي يديه كثير من العلماء، ولكن نجد أن أصحاب التراجم لم يذكروا إلا واحداً فقط أخذ عن المرادي وهو: إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد بن عبد المؤمن نزيل القاهرة عني بالقراءات أخذ عن المرادي ولد عام 709هـ وتوفي عام 800هـ.

مبلغ المرادي من العلم: إن المطالع على سيرة المرادي يرى بعين الإنصاف أن الرجل قد تعددت مواهبه في شتى ضروب العلم وبلغ شأواً عظيماً فيها يقول كحالة:(عالم مشارك في النحو والتفسير والفقه والاصول والقراءات والعروض) (كحالة ، ج3، ص:116)

فالمرادي لم يكن مقتصراً على علم دون آخر كما قال كحالة، ولكنه شارك في عدة علوم، ومؤلفاته تشهد له بذلك.

وأما صاحب الدرر الكامنة فقد وصف المرادي، بل وصف ما كانت عليه مكانته حيث قال: (كان إماماً في النحو)(العسقلاني، 1972م ج2، ص: 116)

فهو قد تهيأت له الظروف العلمية، فوجد أمامه متسعاً لتحقيق ما يصبو إليه، فلقي مشاهير علماء عصره.

لقد كان المرادي متنقلاً بين المساجد والمدارس ودور العلم والمكتبات وحلق الدرس ينفع الطلاب بعمله)(العسقلاني، 1972م ج2، ص: 116)

وهكذا نجد المرادي درّس وأفاد كما عرف بالورع والتقوى وعفة النفس واللسان ولبيان مبلغه من العلم يورد الباحث ذُبذاتٍ من إسهاماته في العلوم التي اشتغل بها ونبغ فيها.

مكانته في النحو:

نبغ المرادي في النحو فقد كانت مكانته سامية فيه، وهو تلميذ أبي حيان، يقول شوقي ضيف: (المرادي النحوي – الحسن بن أم قاسم، أنبه تلاميذ أبي حيان)(شوقي ضيف، ط 4. ص 342) ومر علينا من قبل قول كحالة حين قال: (عالم مشارك في النحو والتفسير والفقه والأصول والقراءات) (كحالة ، ج3، ص:116)

وأما صاحب الدرر الكامنة فقد وصف ما كان عليه المرادي من مكانة حيث قال: (كان إماماً في النحو) (العسقلاني، 1972م ج2، ص: 116). فكانت مؤلفاته في النحو معين ثر نهل منه الباحثون عن العلم والمعرفة، فوجدوا فيه علم الأولين الذي جمعه وحصله باجتهاده، وما أَضافه المراديُّ من آراء تنم عن قريحة وقادة وعقل ونظر اتسم بالبراعة والإبتكار والفهم النافذ ، فكانت آراؤه النحويةُ عتد بها لدى النحاة، ويستشهد بأقواله. وليس أدل على براعته في النحو شيءٌ أَفضلُ من مؤلفاته فقد جاء في المصادر أن له من المؤلفات في النحو ما يلي:

1- إعراب القرآن. (الداوودي، د.ت.، ج1، ص: 143)

2- الجني الداني، وهو الكتاب الذي يجري فيه الباحث دراسته. (السيوطي، د.ت، ج2، ص: 517).

3- شرح الاستعاذة والبسملة، للسيوطي نسخة بيد المؤلف نفسه(السيوطي، د.ت، ج2، ص: 517).

4- شرح الألفية. (السيوطي، د.ت، ج2، ص: 517).

5- شرح التسهيل، والتسهيل كتاب نحوي، جامع مختصر لابن مالك. (السيوطي، د.ت، ج2، ص: 517).

6- وشرح شرح ابن يعيش(السيوطي، د.ت، ج2، ص: 517).

وقد نقل عن المرادي علماء أجلاء يُشهد لهم بالإجادة وزيوع الصيت، منهم:

ابن هشام الأنصاري فقد أفاد من كتاب المرادي (الجنى الداني في حروف المعاني) كثيرا وشهدنا نقوله في عدة مواضع في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب الذي اهتم فيه ابن هشام بشرح حروف المعاني، ومن هذه المواضع نذكر استعمالات (وا) في النداء:

قال المراديُّ: (وا: حرف نداء يختص بياء الندبة فلا ينادى به إلا المندوب نحو «وا زيداه».

والندبة :هي نداء المتفجع عليه والمتوجع منه، وذهب بعض النحويين إلى أن «وا» يجوز أن ينادى بها غير المندوب، فيقال: «وا زيد أقبل»، ومذهب سيبويه وجمهور النحويين ما سبق.

واختلف في «وا» فقيل:

«وا» قسم آخر، وهو أن يكون اسم فعل بمعنى التعجب والاستحسان كقول الشاعر:وا بأبي أنت وفوك الأشنب) (المرادي، 1992، ص:78).

وجاء في المغني قول ابن هشام: (« وا » على وجهين: أحدهما أن تكون حرف نداء مختصا بباب الندبة نحو «وا زيداه» وأجاز بعضهم استعماله في النداء الحقيقي.

والثاني: أن تكون اسما لأعجب كقوله:

وا بأبي أنت وفوك الأشنب ... كأنما ذر عليه الزرنب) (ابن هشام الأنصاري،1985م، ج2، ص:38).

ومن هؤلاء العلماء الذين نقلوا عن المرادي **الإمام عبد الرحمن المكودي** (ت: 801هـ). وذلك في شرحه لألفية ابن مالك، ويلاحظ ذكره للمرادي كثيرا معتدا برأيه النحوي ومن ذلك:

في باب حروف الجر بعد قول الناظم:

وقد يُجر بِسوى رب لدى ... حذف وبعضه يرى مطردا

قال الشيخ المكودي في معنى «وبعضه يرى مطردا»: " وذلك في لفظ «الله» في القسم نحو والله ولأفعلن. وبعد «كم» الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر نحو «بكم درهم» أي بكم من درهم.

وذكر المرادي في هذا الفصل مواضع غير هذين لم تشتهر" (المكودي، 2005م، ص:84)

٣ –في باب الإضافة بعد قول الناظم:

وألزموا إضافة لدن فجر

قال المكودي: "«... وفهم من قوله» فجر«أنه لا تضاف إلا للمفرد. وجعل المرادي

قوله:» فجر«شاملا للجر في اللفظ والمحل لتندرج الجملة، وجعل من إضافتها إلى الجملة

قوله:» لدن شب حتى شاب سود الذوائب"(المكودي، 2005م، ص:84).

وفي النعت يقول ابن مالك:

واقطع أو اتبع إن يكن معينا ... بدونها أو بعضها اقطع معلنا

قال المكودي: " «وفهم من قوله:»أو بعضها اقطع«قطع بعضها واتباع بعضها ويلزم على هذا

أن يكون بعضها منصوبا على أنه مفعول باقطع». وبهذا جزم المرادي"(المكودي، 2005م، ص:116).

في باب البدل يقول الناظم:

التابع المقصود بالحكم بلا ... واسطة هو المسمى بدلا

قال المكودي: " «وقوله:»بلا واسطة«قال الشارح: أخرج به المعطوف ببل فحمل المقصود بالحكم

إلى المستقل بالقصد فإن المعطوف بغير بل غير مستقل بالقصد.

وحمله المرادي على أنه المقصود بالحكم مطلقا فأخرج به المعطوف عطف النسق ببل وغيرها وهو أظهر». "(المكودي، 2005م، ص:123).

ومنهم العلامة الدماميني، محمد بن بدر الدين بن أبي بكرٍ(ت: 827هـ) ويبرز نقله عن المرادي كثيراً في كتابه (تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك)، وقد اعتمد على المرادي في أبوابٍ كثيرة متفرقةٍ منها على سبيل المثال:

في باب الأحرف الناصبة للاسم

الرافعة للخبر: قال الدماميني: " إذا علم الخبر جاز حذفه مطلقا للقياس على حذف الخبر في غير هذا الباب وللسماع، والتزم الحذف في ليت شعري مردفا باستفهام كقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي أذخر وجليل

قال ابن قاسم– يعني المراديَّ– : وإنما التزم الحذف؛ لأن الاستفهام يسد مسد الخبر وجملة الاستفهام في موضع نصب شعري" (الدماميني، 1983م، ص:120).

ومنهم العلامة الشيخُ تَقيُّ الدين الشُّمُنِّي، أحمد بن محمد بن محمد (ت: 872هـ)، وقد جاء نقله عن المرادي في كتابه: (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام)، والكتاب عبارة عن حاشية على المغني لخصها الشمنيُّ من حاشية الدماميني وزاد عليها. ومثال نقله عن المرادي قوله في الفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل: " لم يذكر المصنف ما اجتمعا فيه كما ذكر في الحال والتمييز، وقد ذكر ابن أم قاسم أنه ثلاثة أمور: أحدها أن كل واحد منهما يدل على حدث وصاحبه، والثاني أنه يؤنث ويذكر، والثالث أنه يثنى ويجمع".(الشمني، 2012م، ج2 ، ص:161)

ومنهم العلامة الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت: 905هـ)، وله تصانيف سنية في الشرح والبيان منها (تمرين الطلاب في صناعة الإعراب) وهو إعراب لألفية ابن مالك في النحو، ومنها شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك لابنهشام الأنصاري ومنها كتابه الشارح ل (قواعد الإعراب) لابن هشام الأنصاري، وقد سماه (موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب)، ويلاحظ كثرة الشروح والحواشي لمؤلفات ابن مالك وابن هشام وغيرها مما يدل على نشاط حركة التأليف في النحو وأنهم بلغوا في ذلك شأواً بعيدا أصبحوا يكررون ويعيدون ويقلبون وجهات النظر ويجهون أقوال العلماء ، ومثال على نقل الأزهري عن المرادي: قوله: في (كتابه موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب) في «الباب الرابع في الإشارة إلى عبارات محررة».

قال ابن هشام: وفي الفاء من نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر ١، ٢)، فاء السببية ولا تقل فاء العطف؛ لأنه لا يجوز عطف الطلب على الخبر والعكس». قال الأزهري: أي: عطف الخبر على الإنشاء، وهي مسألة خلاف. منع من ذلك البيانيون لما بينهما من التنافي وعدم التناسب وأجاز الصفار. قال المرادي في شرح التسهيل: «أجاز سيبويه التخالف في تعاطف الجملتين بالخبر والاستفهام فأجاز: هذا زيد ومن عمرو؟" (خالد الأزهري، 2000م،ج2، ص١٣٤) . ومن ذلك في جواز جر التمييز بمن. قال الأزهري: "... أنه تبع الشارح في جعل»لله دره فارسا«و»نعم المرء من رجل«من تمييز الجملة». واعترضه المرادي بأنه تمييز مفرد لا جملة." (خالد الأزهري، 2000م،ج1، ص339)

ومن هؤلاء الجلة العلماء الذين نهلوا من معين المرادي، الإمام النابه، والعالم المجتهد، أبو **الحسن عليٌّ بن نورالدين بن محمد بن عيسى الأَشموني** (ت: 929هـ)، وهو صاحب شرح الأشموني عل ألفية ابن مالك الموسوم ب(منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) هذا الشرح يعتبر من أوسع شروح الألفية وأجمعها لمذاهب العلماء وأقوالهم، ولعل السبب هو مجيئه متأخرا عن غيره مما أتاح للأشموني أن يستعرض الشروح السابقة وينهل من معينها مجتمعةً وكما قيل أبطُؤ الدِّلاءِ أملؤها. ويبدوا أثر المرادي جليا في شرح الأشموني في مواضع كثيراً نمثل لها بما يأتي:

في باب ما لا ينصرف يقول الناظم:

ولسراويل بهذا الجمع ... شبه اقتضى عموم المنع

وإن به سمي أو بما لحق ... به فالانصراف منعه يحق

قال الأشموني: " قال الشارح: والعلة في منع صرفه ما فيه من الصيغة مع أصالة الجمعية أو قيام الجمعية مقامها، فلو طرأ تنكيره انصرف على مقتضى التعليل الثاني دون الأول.

قال المرادي :قلت: "مذهب سيبويه أنه لا ينصرف بعد التنكير لشبهه بأصله، ومذهب المبرد صرفه لذهاب الجمعية، وعن الأخفش القولان، والصحيح قول سيبويه، لأنهم منعوا سراويل من الصرف، وهو نكرة وليس جمعا على الصحيح". (الأشموني، 1955م، ج2، ص:523)

وفي باب التنازع يقول ابن مالك:

بل حذفه الزم إن يكن غير خبر ... وأخرنه إن يكن هو الخبر

قال الأشموني:"... قوله: «غير خبر» يوهم أن ضمير المتنازع فيه إذا كان المفعول الأول في باب ظن يجب حذفه وليس كذلك، بل لا فرق بين المفعولين في امتناع الحذف ولزوم التأخير.

ولذلك قال الشارح لو قال بدله:

واحذفه إن لم يك مفعول حسب ... وإن يكن ذاك فأخره نصب

لخلص من ذلك التوهم.

لكن قال المرادي: " قوله: «مفعول حسب» يوهم أن غير مفعول حسب يجب حذفه وإن كان خبرا، وليس كذلك، ولأن خبر كان لا يحذف أيضا. بل يؤخر كمفعول حسب" (الأشموني، 1955م، ج،١ ص٢٠٦).

وفي باب الترخيم يقول ابن مالك:

ترخيما احذف آخر المنادى ... كَيا سُعا فيمن دعا سعادا

قال أبو الحسن الأشموني منبهاً : "أجاز الشارح ترخيما ثلاثة أوجه:

١ –أن يكون مفعولا له.

٢ –أو مصدرا في موضع الحال.

٣ –أو ظرفا على حذف مضاف.

وأجاز المرادي وجها رابعا، هو أن يكون مفعولا مطلقا وناصبه احذف، لأنه يلاقيه في المعنى"(الأشموني،1955م، ج٢، ص٤٦٧).

ومن هؤلاء العلماء أبو العرفان محمد بن علّي الصبان(ت: 1206هـ) له مصنفات في النحو أشهرها حاشية على شرح ألفية ابن مالك للأشموني. نقل الشيخ الصبان في حاشيته هذه عن المرادي من كتبه: الجنى الداني وشرح التسهيل وشرح الألفية، مواضع كثيرة متعددة، وذلك دليل على قوة المرادي في آرائه. ومن أمثلة هذا النقل:

جاء في شرح الكافية:

أجمعوا على أنه لا ينصب المفعول به إن وجد ما يوهم ذلك جعل نصبه بفعل مقدر «الله أعلم حيث يجعل رسالاته» فحيث هنا مفعول فيه. قال الصبان: "... وفي المرادي على التسهيل: لم تجئ حيث فاعلا ولا مفعولا به ولا مبتدأ" (الصبان، 1997م، ج3، ص:٤٢).

ومنهم **الدنوشري، عبد الله بن عبد الرحمن بن علّي** (ت: 1025هـ)، وقد نقل عن المرادي في حاشيته على التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري.

ومنهم العلامة الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي (ت: 1061هـ)، ومن مصنفاته النحوية حاشية «قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام» وحاشية «مجيب الندا إلى شرح قطر الندى وبل الصدى» للفاكهي، وحاشية »التصريح» للشيخ خالد الأزهري.

ومنهم الإمام المتقن **أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الملوي** الشافعي الزهري (ت: 1181هـ)، من مؤلفات: شرح الأجرومية.

خامساً : وفاته:

وقبل أن يتحدث الباحث عن وفاة المرادي فيبدو أن عالمنا الجليل كان رجلاً يحب التسفار والدليل على ذلك هجرته من مصر إلى مراكش في المغرب ولذلك عرف بالمراكشي، والمغربي، بيد أن عالمنا الجليل لم يستقر في المغرب، فقفل راجعاً إلى حيث تربة مولده مصر فعاش فيها حتى وافته المنية.

لم تختلف كتب التراجم في مكان وتاريخ وفاة المرادي فقد أجمعوا على أن وفاته كانت عام 749هـ بسرياقوس في يوم عيد الفطر، قال السيوطي: "مات يوم عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة"(السيوطي، د.ت، ج1، ص517). وكذا قال صاحب كشف الظنون(حاجي خليفة، 1982م، ج2، ص: 1031)

ويرى الباحث أن المرادي لم يلق حظاً في كتب التراجم، بل ولا مؤلفاته في الطبع والنشر، فبالرغم أن كتابه الفريد ألفه قبل كتاب المغني، إلا أن كتاب المغني لابن هشام وجد شهرته من بين كتب النحو.

رحم الله عالمنا الجليل المرادي وأسكنه فسيح جناته.

الخاتمة:

الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علّي المراديُّ،عالم متفرد شهد له العلماء بالنبوغ والإجتهاد، إلى جانب ما خلفه من آثار علمية قيمة، نهل من معينها كثيٌر من العلماء الذين لا تخلو مؤلفاتهم من ذكر المرادي أو ذكر آرائه النحوية. ومما يلاحظه المتتبع في كتب العلماء الذين نقلوا عن المرادي يجدهم قد كثُر نقلُهم عن كتابيه شرح التسهيل وشرح الألفية ، ويقل نقلهم عن كتابه الجنى الداني. ومن الملحوظات أن الأشموني اتبع طريقة المرادي في الشرح وذكر التنبيهات .

وتعتبر شُهرة المرادي في علم النحو أكبر من شهرته في علم التفسير والعروض، ولعل كثرة النقل عنه أبرزت نشاطه العلمي في حقل النحو وأدى ذلك إلى دوران اسمه كثيرا في حواشي الشراح لا سيما الذين تصدوا لشوح ألفية بن مالك.

المراجع :

القرآن الكريم

1- الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، الرسالة ، بيروت، ط1، 1996م.

- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

2- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، 1972م.

- اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تح: مركز خدمة السنة والسيرة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط1، 1994م.

3- الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي، طبع على نفقة الشيخ جمعان الزهراني، ط1، 2015م.

4- أبو الحسن الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

5-الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المغسرين، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، د.ت.

6- الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1963م.

7- السيوطي، بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

8- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، **كتاب العبر**، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.

9- أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان. ط1، 1997م.

10- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ط، د.ت.

11- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1986م.

12- قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ، دار المعارف، مصر، ط2، 1985م،.

13- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسين بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1،2008م.

14- المكودي، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح، شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2005م.

15- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر ، دمشق، ط6، ١٩٨٥م.